المقدمة

ولاية العهد من مستحدثات النظام السياسي في العصر الأموي، ومن أعمال مؤسس الدولة الأموية الخليفة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) (٤١- ٦٠هـ)، استحدث هذا التحول في نظام الحكم على حد زعم الكثيرين كي يحافظ على الانتقال السلمي للحكم من الخليفة إلى ولي عهده، وحتى لا يترك موت الخليفة فراغاً سياسياً قد يؤدي إلى نتائج ومردودات سلبية على مستقبل الدولة، والتي قد تصل إلى الانهيار الحتمي في حال الاختلاف والتقاتل حول السلطة، لا سيما بعد ازدياد الأطماع وظهور العديد من التيارات السياسية المناوئة للدولة، والتي كانت دوماً تبحث عن فراغ سياسي تستغله لتحقيق غايتها.

هذا التحول في نظام الحكم زمن الخليفة معاوية (رضي الله عنه) سار عليه معظم من تبعهُ من الخلفاء الأمويين، وهو نظام كان معروفاً للعرب ولغيرهم.

عمد الخليفة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) إلى حصر الخلافة في عائلته، وبعد جهود مضنية بويع يزيد بالخلافة.

ويبدوا أن هذا النظام (ولاية العهد) قد خلف صراعاً سياسياً حول السلطة تمثل في انبثاق جملة من المشكلات، كان أبرزها ظهور الرغبة في التغيير الذي غالباً ما كان يؤجج أن عهد الخليفة بالحكم لأثنين من أولاده بالتتابع، يندفع ذلك الأول منهما (الذي أصبح خليفة) إلى خلع أخيه والدعوة لأبنائه بولاية العهد.

ظهر تغيير ولي العهد في الدولة الأموية وظل حتى نهاية عصرها مجرد محاولة لم تخرج عن طورها هذا، وكانت أولى المحاولات في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦هـ) إذ عد عهده بداية لظهور هذه النزعة التي استفحلت فيما بعد فتخاصم الأبناء فيما بينهم وتدخلت في هذا الخصام أطراف كثيرة البعض

منها كانت تؤجج المواقف وتدفع الخليفة باتجاه الخلع لتحقيق بعض المطامع الشخصية ومنهم جلساء الخليفة ومشيريه وشعرائه.

من دوافع تغيير ولي العهد في العصر الأموي الرغبة بحصر الخلافة في الأبناء كونهم الأقرب إلى النفس، فتعقد لهم البيعة، وقد قسم البحث إلى خمسِ مطالب:-

كان المطلب الأول: دوافع تغيير ولي العهد،

وتضمن المطلب الثاني: محاولة تغيير ولي العهد في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥- ٨٦هـ)،

بينما شمل المطلب الثالث: محاولة تغيير ولي العهد في عصر الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ – ٩٦هـ)،

وتحدثنا في المطلب الرابع: عن محاولة تغيير ولي العهد في عصر الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ – ١٢٥هـ)،

واخيراً بيَّنا في المطلب الخامس: محاولة تغيير ولي العهد نهاية الدولة الاموية (١٢٥- ١٣٢هـ).

المطلب الأول

دوافع تغيير ولي العهد

كانت الرغبة في تغيير ولي العهد من المشكلات التي انبثقت عن نظام ولاية العهد في العصر الأموي[١]، والتي غالباً ما تظهر عندما يعين الخليفة اثنان من أولاده بولاية العهد بالتتابع، رغبة منه في تحقيق غايتين أساسيتين تتمثل الأولى في تأمين سلطة دائمة للمسلمين تحفظ دمائهم وتقيهم الفتنة[٢] والثانية إجبار ولي العهد الأول بعدم التنصل من بيعة أخيه، إلاّ أن التغيير قد شاع في الدولة العربية الإسلامية بعد خلافة عبد الملك بن مروان بن الحكم، ذلك أن معظم من تولى الخلافة بعده دعا إلى تغيير أخيه، وهذا أمر بديهي فالكل كان يسعى لحصر الحكم في أبنائه، فتناحر الأبناء فيما بينهم كل منهم كان يسعى إلى حصر الخلافة في أولاده وحرمان إخوته منها.

من الطبيعي أن تدفع غريزة حب الابناء بالخليفة الأموي إلى محاولة حصر الخلافة في أولاده، إذ ليس اقرب إلى الأب من ابنه، وهذا ما ظهر بصورة جلية في المكاتبات التي جرت بين الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦هـ) وبين أخيه عبد العزيز بن مروان بن الحكم والذي كان حينها والياً على مصر، فكتب إليه الخليفة قائلاً: ((إن رأيت تصيّر هذا الأمر لابن أخيك، فأبى، فكتب إليه، فأجعلها له من بعدك، فكتب إليه (عبد العزيز) إني أرى في ولدي ما ترى في ولدك))[٣].

---

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، دار الفكر، (بيروت: ١٩٩٨م)، ٨/ ٣؛ الصالحي، زاهدة سعيد، والعبود، نافع توفيق: تاريخ الدولة العربية الإسلامية، (العصر الأموي)، مطبعة التعليم العالي، (الموصل: ١٩٨٩م)، ص١١.

(٢) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني: الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفدا عبدالله القاضي، ط٢، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٥م)، ٣/ ٣٤٩؛ سالم، السيد عبد العزيز: تاريخ الدولة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، (الإسكندرية : د- ت)، ص٣٢٦.

(٣) ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: المنتظم في أخبار الملوك والأمم، دار صادر، (بيروت : د- ت)، ٦/ ٢٦٢.

يبدو أن من ابرز دوافع تغيير ولي العهد هي الرغبة بحكم الأبناء، من خلال محافظة الخليفة على امتيازاته ومن ثم تحويلها إلى أبنائه.

المطلب الثاني

محاولة تغيير ولي العهد في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥- ٨٦هـ)

حاول الخلفاء الأمويون تغيير ولي العهد من غير أبنائهم بل وأصروا على تحقيق ذلك طمعاً في السلطة ورغبة في توريثها لأبنائهم فقط، ورغم أنه لم يثبت أن حصل تغيير ولي للعهد في العصر الاموي وما قام به الخلفاء الامويون في هذا المجال لم يكن الا مجرد محاولةً منهم، الا أن هذه المحاولة اصبحت حقيقة واقعة ومنهج سار عليه معظم الخلفاء الامويون، منذ عصر الخليفة عبد الملك بن مروان، إذ حاول عزل أخيه عبد العزيز بن مروان بن الحكم، ونقل ولاية العهد إلى ابنه الوليد بن عبد الملك. ورغم إن هذا الأمر لم يكن بعيداً عن تفكير الخليفة فقد برزت الكثير من الأطراف ممن كان يعمل على إثارة الخليفة ودفعه إلى تغيير ولي العهد وان كان من اخوته، والدعوة إلى بيعة أبنائه، ولا سيما جلساء الخليفة وشعراءه ربما رغبة منهم في الحصول على المال، ومنهم احد الشعراء المقربين من الخليفة عبد الملك وهو النابغة الذبياني، الذي دخل على الخليفة في يوم حفل، وكان قد علم إن الخليفة قد هم في تغيير اخيه فامتدح ما اراد الخليفة فعله(١).

يبدو أن رغبة الخليفة عبد الملك بن مروان في تغيير أخيه كانت قد شاعت بين الناس والأكثر من ذلك أنهم لا يتحرجون من الحديث عنها، بل اخذ الشعراء ينظمون فيها شعراً يلقى على مسامع الناس علناً غير مبالين، معنى ذلك إن الخليفة عبد الملك بن مروان ربما بدأ يهيئ الناس لقبول ابنه ولياً للعهد بدلاً من أخيه عبد العزيز والدليل هو انه لم يستنكر ذلك من النابغة الذبياني بل وأكرمه وهذا كان دافعاً للكثيرين لتحسين صورة الوليد إمام الناس عند الحديث عنه.

---

(١) الأصفهاني : أبو الفرج علي: الأغاني، تحقيق: سمير جابر، ط٢، المكتبة العلمية، (بيروت، د- ت)، ٧/ ١٢١ - ١٢٣.

وأمام الصورة التي ذكرت والتي برز فيها دور بعض من يريد تأجيج المواقف، يبقى إن نذكر من ناقضهم في هذا الرأي، بل ونبهوا الخليفة ونهوه عن فعل ذلك، وكان أعظم من برز في هذا الاتجاه قبيصة بن ذؤيب(*) الذي نصح الخليفة عبد الملك بن مروان ودعاه إلى عدم تغيير أخيه عبد العزيز إذ قال له: ((لا تفعل فأنك تبعث بهذا على نفسك العار ولعل الموت يأتيه فتستريح منه فكف عن ذلك))(١).

وبينما نفسه تنازعه هذا الأمر دخل عليه روح بن زنباع الجذامي فقال: ((يا أمير المؤمنين لو خلعته ما انتطحت فيه عنزتان، فقال ترى ذلك يا أبا زرعة ؟ قال: أي والله وأنا أول من يجيبك إلى ذلك))(٢).

عزم الخليفة عبد الملك بن مروان على تغيير ولي عهده وبينما هو على ذلك دخل عليه قبيصة بن ذؤيب، وكان لا يحجب عن عبد الملك لقول الخليفة: ((لا يحجب عني قبيصة أي ساعة جاء))(٣)، وألقى عليه السلام ثم قال : ((أجرك الله في أخيك عبد العزيز، قال وهل توفي؟ قال: نعم، فأسترجع عبد الملك، ثم اقبل على روح فقال: كفانا الله ما كنا نريد، وما اجتمعنا عليه، فقال قبيصة وما هو ؟ فأخبر بما قد كان، فقال قبيصة: يا أمير المؤمنين إن الرأي كله في الأناة والعجلة فيها ما فيها))(٤).

(*) هو قبيصة بن ذؤيب الخزاعي الكعبي من فقهاء أهل المدينة وعبادهم ولد عام الفتح وتوفي سنة ست وثمانين للهجرة (ابن حبان: أبو حاتم محمد ابن أحمد ابن حبان البستي: مشاهير علماء الأمصار، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٩٩٥م)، ص٨٤.

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ٦/ ٢٦١- ٢٦٢؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٢٣٤.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ٦/ ٢٦١- ٢٦٢؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٢٣٤.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ٦/ ٢٦١- ٢٦٢؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٢٣٤.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ٦/ ٢٦١- ٢٦٢؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٢٣٤.

من خلال هذا النص نرى واضحاً تأثر الخليفة بآراء من يحيط به وهذا أمر طبيعي، خاصة وان روح بن زنباع الجذامي كان ذا منزلة كبيرة لدى عبد الملك وصاحب شرطته والذي كان يسعى لتحقيق الأقرب إلى نفس الخليفة فأشار عليه بما ذكرنا آنفا في حين كان الموقف مغايراً من التابعي الجليل قبيصة بن ذؤيب الذي حاول ثني الخليفة عن رأيه، والتخلي عن فكرة التغيير.

تعددت الأطراف وتلونت آرائهم وتأثر الخليفة بكل ما قالوه من آراء سلباً وايجاباً بعضهم كان طامعاً بمال وآخرون بمنزلة ومكانة وغيرهم حاول الإصلاح، المهم إن الأمر انتهى سلماً إذ توفى عبد العزيز بن مروان وظل التغيير حتى ذلك العهد مجرد محاوله.

روي إن الخليفة عبد الملك بن مروان لما عزم على خلع أخيه عبد العزيز والبيعة لابنة الوليد من بعده كتب إلى الحجاج إن يشخص الشعبي(*) إلى مصر حيث كان عبد العزيز لاقناعه بالتنازل عن ولاية العهد فأشخصه، وأقام عنده أياماً وبره فقال الشعبي لعبد العزيز: ((ما رأيت ملكاً أكمل ولا نعمة أنضر ولا عزاً أتم مما أنت فيه، ولقد رأيت عبد الملك طويل النصب كثير التعب قليل الراحة دائم الروعة إلى ما يتحمل من أمر الأمة، ولوددت والله أنهم أجابوك إلى أن يصيروا لك مصر طعمة، ويصيروا عهدهم إلى من أحبوا، فقال ومن لي بذلك، فلما عرفت ما عنده انصرفت إلى عبد الملك فأخبرته الخبر فخلع عبد الملك أخاه من ولاية العهد وولى ابنه الوليد))(١).

(*) هو عامر بن شرحيل الشعبي، من الفقهاء في الدين وجلة التابعين، مات سنة خمس ومائة وقد أدرك خمسين ومائة من الصحابة (البستي: مشاهير علماء الامصار، ص١٢٧).

(١) اليعقوبي: احمد بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، (بيروت، د- ت): ٢/ ٢٧٩ - ٢٨٠.

وفي رواية اخرى إن الخليفة عبد الملك كتب إلى أخيه عبد العزيز يدعوه إن يتنازل عن ولاية العهد فأبى فكتب إليه (فأجعلها له من بعدك، فقال: إني أرى في ولدي ما ترى في ولدك، واني وإياك قد بلغنا أشياء لم يبلغها احد من أهل بيتك الا كان بقاءه قليل، واني لا ادري ولا تدري أين يأتيه الموت أولاً، فأن رأيت لا تغثث عليّ بقيت عمري فأفعل، فرق له عبد الملك وقال: لا أغثث علية بقية عمره)[١].

يتضح ان الخليفة عبد الملك استخدم اسلوب التفاوض مع اخيه عبد العزيز في بداية الامر إذ أرسل الشعبي لهذا الغرض، ثم اخذ يراسل اخيه بعد ذلك، الا ان الراجح تاريخياً أنه لم يحدث أن غيّر ولي للعهد في العصر الاموي وكل ما قام به الخلفاء لم يتعدى مجرد محاولة.

مات عبد العزيز بن مروان وبدأ عبد الملك يبايع لولديه وكتب بذلك إلى الأمصار وأخذ يدعو الناس للبيعة فبايعوا الا سعيد بن المسيب[*] الذي قال: ((لا أبايع وعبد الملك حي))[٢].

(١) الطبري، تاريخ، ٨/ ٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٦/ ٢٦٢.

(*) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي، من سادة التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة جمع بين الحديث والزهد والفقه والعبادة (البستي: مشاهير علماء الأمصار ص٨١).

(٢) الطبري: ٨/ ٥؛ ابن الجوزي: المنتظم، ٦/ ٢٦٢.

المطلب الثالث

محاولة تغيير ولي العهد في عصر الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ)

كانت محاولة الخليفة عبد الملك حصر الخلافة في أبناءه قد انتقلت طوعاً الى ولده الوليد الذي عزم على السير في الأمر نفسه في تغيير أخيه سليمان و الدعوة لأبنائه بولاية العهد(١).

إن ابرز ما يمكن ملاحظته على محاولة الوليد حصر الخلافة في أولاده، هي أن الاختلاف حول تغيير ولي العهد هنا لم يكن محصوراً بالخليفة وولي عهده فقط، بل شمل الاختلاف أناس ذوي منزلة عظيمة في الدولة العربية الإسلامية، اختلفوا في آرائهم حول دعمهم للخليفة أو رفضهم رغبته، أبرزهم الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق (٧٥ – ٩٥هـ) والتابعي الجليل عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، بل ودخل في ذلك قاده هم بعيدون حتى عن مركز الخلافة وعاصمتها حينها، أبرزهم قائد الفتوح في الأقاليم الشرقية قتيبة بن مسلم الباهلي.

إن ما تقدم من أسماء لها مكانتها في الدولة الإسلامية كان لتدخلهم في هذا الأمر تأثير ليس على مجرى الأحداث في خلافة الوليد فحسب، بل حتى في خلافة سليمان، ذلك إن من خالف الأخير لابد إن يلقى عقابه إن كتب لغريمه نيل الخلافة، وهذا ما وقع فعلاً بعد أن آلت الخلافة إلى سليمان بن عبد الملك فخسر المسلمون أعظم قائد في فتوحات الأقاليم الشرقية قاطبة الا هو قتيبة بن مسلم الباهلي.

رفض عمر بن عبد العزيز تغيير سليمان منذ البداية، ودعا الخليفة الوليد إلى العزوف عن هذا الأمر، وقال: ((لسليمان بيعة في أعناقنا)(٢)، اما بالنسبة للحجاج

---

(١) الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارنؤوط ومحمد نعيم العرقوسي، ط٩، مؤسسة الرسالة، (بيروت: ١٤١٣هـ) ٤/ ٣٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ٤/ ٣٤٨.

ابن يوسف الثقفي فقد وافق رأيه رأي عامله على خراسان (قتيبة بن مسلم الباهلي) إذا طاوعوا الخليفة الوليد على تغيير أخيه سليمان والدعوة لولده عبد العزيز بولاية العهد، بيد أن هذا الأمر لم يتم فعقدت البيعة لسليمان بن عبد الملك الذي أصبح خليفة فخافه قتيبة بن مسلم الباهلي، فعزم على إن لا يبايعه، فعزله سليمان، وولى على العراق ثم خراسان يزيد بن المهلب(١).

تغير حال قتيبة بن مسلم الباهلي بعد أن آلت الخلافة إلى سليمان بن عبد الملك فخلع سليمان وطلب من الناس في خراسان خلع الخليفة، غير أنهم لم يجيبوه فانهال عليهم بالشتائم فغضبت عليه سائر القبائل وقتلتهُ(٢).

من خلال ما تقدم نرى إن انجرار قتيبة بن مسلم الباهلي وراء تأيد الوليد في تغيير سليمان قد أدى إلى مقتلهِ في النهاية، ذلك إن الأمور لم تسر كما كانوا يخططون، أما الحجاج فقد توفي قبل مجيء سليمان إلى خلافة الدولة الإسلامية.

لم يخلع سليمان بل وأجرى تغيراً اختلفت فيه عن سابقيه من الخلفاء الأمويين إذ عمد إلى تولية الخلافة إلى رجل لم يكن حتى ضمن ولاة العهد وكان ذلك بمشورة رجاء بن حيوة.

آلت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز الذي عد عهده نقطة تحول لم تدم طويلاً في مسار الخلفاء الأمويين إذ كان الخليفة الوحيد من نسل عبد العزيز بن مروان، ولم يعهد إليه بولاية العهد أبدا، بل إن تولية الخلافة كان بكتاب ملزم من

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٧/ ١٨- ١٩؛ ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، (بيروت : د- ت)، ٩/ ١٦٦ .

(٢) الطبري: تاريخ، ٨/ ٥٩؛ ابن الجوزي: المنتظم، ٧/ ١٩؛ الحنبلي، عبد الحي بن احمد بن محمد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، (دمشق: ١٤٠٦هـ)، ١/ ١١٢؛ صفوت، احمد زكي: جمهرة خطب العرب، المكتبة العلمية، (بيروت : د- ت)، ٢/ ٣٠٧ – ٣٠٨.

الخليفة سليمان، ودون أمر مسبق ذلك أن الأخير راغب في البداية أن يولي أبناءه لكنه عدل عن ذلك؟ وولى عمر بن عبد العزيز[١].

ولي عمر بن عبد العزيز أشج بني أمية الخلافة، وكان من أفاضل العلماء حسن الخلق والأخلاق راجح العقل حليم، عمد إلى تطبيق مبدأ الشورى في أول يوم من خلافته وقال: ((واني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم، فصاح الناس قد اخترناك يا أمير المؤمنين))[٢].

خرج عمر بن عبد العزيز عن مبدأ التوريث الذي سار عليه خلفاء بني أمية إلى الشورى والانتخاب[٣]، وأخلى رقاب الناس من بيعته، فعد بذلك أول من خلع نفسه من بني أمية، فنقل بذلك السلطة إلى الناس شورى بيد أنهم أصروا على بقائه لعدله فأعادوه خليفة رغبة منهم، وقال يوماً عندما رأى القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق: لو كان لي من الأمر شيء لوليته الخلافة، ولو أراد لفعل ولكنه كان يخشى من بني أمية أهل الحل والعقد[٤].

إنتهج عمر بن عبد العزيز الشورى مبدأ لحكمهِ فقبل حتى من الخارجين على السلطة إذ وصف بالعادل فجالسوه وحاوروه فأقنعهم في كل ما كانوا يختلفون فيه من قضايا.

---

(١) الطبري: تاريخ ٨/ ٨٥.

(٢) ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد: سيرة ومناقب عمر، دار صادر، (بيروت: د.ت)، ص٤٤.

(٣) الصلابي، علي محمد، الدولة الأموية، عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، دار المعرفة، (بيروت: ٢٠٠٥م)، ٢/ ١٢٥.

(٤) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: المقدمة، دار العلم، (بيروت: ١٩٧٨)، ص٢٠٦.

خشي بني مروان أن يغيير يزيد بن عبد الملك، فيخسروا ما في أيديهم من سلطة وأموال، فدسوا له السم فمات في اليوم الذي كان من المقرر فيه إن يعطي جواباً للمتفاوضين(١).

رغم اختلاف الروايات حول موت عمر بن عبد العزيز الا إن انهيار حالته الصحية المفاجئة وانجراره نحو الموت بهذه السرعة يدل على انه سقي السم، خاصةً وان حواراته الأولى مع الخوارج لم تكن تدل على انه رجل وهن ضعيف، أنهكه المرض بحيث ابتعد عن لقاء الناس خاصةً في محاورات مع أناس كالخوارج تحتاج رجلاً صلباً متماسكاً حليماً، وهذه صفات لا تجتمع في الرجل المريض ومما يؤيد ذلك ما ذكر إن عمر بن عبد العزيز سأل غلاماً له فقال له: ((ويحك ما حملك على أن تسقيني السم؟ قال: ألف دينار أعطيتها وعلى إن اعتق، قال: هات الألف فجاء بها فألقاها عمر في بيت المال، وقال اذهب حيث لا يراك احد))(٢).

ويبدو إن عمر بن عبد العزيز لم يكن يريد تغيير يزيد بن عبد الملك إذ ظهر ذلك واضحاً في وصيته التي أوصاه بها في الرعية وهو في مرض الموت فكان مما قاله في هذا الشأن: ((أما بعد فأني كتبت أليك وانا دنف(*)، من وجعي وقد علمت إني مسؤول عما وليت ...، وعليك بتقوى الله والرعية الرعية، فأنك لن تبقى بعدي الا قليل، حتى تلحق باللطيف الخبير))(٣).

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل، ٨/ ٨٨؛ ابن الأثير: الكامل، ٤/ ٣١٩.

(٢) القيسراني، محمد بن طاهر: تذكرة الحفاظ، تحقيق: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، دار الصميعي، (الرياض:١٤١٥هـ)، ١/١٢٠.

(*) دنف، برأه المرض حتى اشرف على الموت، وهو المرض الملازم، (الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، تحقيق: محمد خاطر، مكتبة لبنان ناشرون (بيروت : ١٩٩٥م)، ص٨٩).

(٣) ابن الجوزي: سيرة ومناقب عمر، ص٢٠٧.

وبعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز اعتلى عرش الخلافة الاموية يزيد بن عبد الملك استناداً إلى وصية اخيه سليمان.

المطلب الرابع

محاولة تغيير ولي العهد في عصر الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ)

كانت العلاقة بين الخليفة هشام بن عبد الملك وولي عهده الوليد بن يزيد تقوم على الوئام إذ كان الأخير رفيع المنزلة لدى الخليفة زمنا طويلاً، بيد إن هذا الحال تغير بمرور الزمن، لا سيما عندما فكر الخليفة في تغيير ابن أخيه وعقد البيعة لولده مسلمة بن هشام، فكانت البداية عندما بدأ هشام يشيع عن الوليد بن يزيد إدمانه على الشراب(١)، وقد روي أن الزهري(*)، كان يحث هشاماً على خلع الوليد الثاني ويستنهضه في ذلك، بيد إن هشاماً كان يحجم دوماً عن هذا الأمر خوف الفضيحة من الناس، ولئلا تتنكر قلوب الأجناد من وراء ذلك(٢).

لم يكن ذلك خافياً على الوليد بن يزيد إذ كان يبغض الزهري ويتهدده ويتوعده، غير إن الزهري لم يكن يخشاه، إذا كان يرد عليه ويقول: ((ما كان الله ليسلطك علي يا فاسق، ثم مات الزهري قبل ولاية الوليد))(٣).

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ٧/ ٨.

(*) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري احد الفقهاء والمحدثين والأعلام التابعين بالمدينة روى عن جماعة من الأئمة منهم مالك بن انس وسفيان الثوري أوصى به عمر بن عبد العزيز وقال: عليكم بأبن شهاب فأنكم لا تجدون احداً اعلم بالسنة الماضية منه (ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن محمد: صفة الصفوة، تحقيق: محمد فاخوري ومحمد راوس قلعة جي، دار المعرفة، (بيروت:١٩٧٩م)، ٢/ ٣٢٣؛ ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: د. احسان عباس، دار الثقافة، (بيروت: ١٩٦٨)، ٤/ ١٧٧).

(٢) ابن سعد، محمد بن سعد البصري التميمي: الطبقات الكبرى تحقيق: زياد محمد منصور، ط٢، مكتبة العلوم والحكم، (المدينة المنورة : ١٤٠٨هـ) ١/ ١٨٣ – ١٨٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٠/ ٣.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ١٠/ ٣.

أرسل الخليفة هشام بن عبد الملك الوليد بن يزيد للحج، فلما عاد طلب منه هشام إن يخلع نفسه، فرفض ذلك فحرمه ومواليه العطاء، وجفاه جفاءاً شديداً[١].

ثم دعا هشام الناس إلى تغيير الوليد بن يزيد والبيعة لمسلمة بن هشام وكان يكنى أبا شاكر[٢].

اجابهُ لهذا التغيير بعض الرجال، وبلغ الخبر خالد بن عبد الله القسري الذي رفض عزم هشام تغيير الوليد وقال: (أنا بريء من خليفة يكنى أبا شاكر))[٣].

كان الوليد يخشى عمه هشام والدليل فراره من دمشق إلى البرية فلم يزل بها حتى مات عمه[٤]، فقفل راجعاً من البرية قاصداً دمشق.

تولى الخلافة وجاءته البيعة من الأفاق واستعمل العمال، وكتب إليه مروان ابن محمد وكان حينها نائباً على ارمينية يبارك له الخلافة على البلاد[٥]، وعقد البيعة لأبنائه وبعث بذلك إلى الأمصار[٦].

استخلف الوليد الثاني وبعث إلى خواص هشام وجلسائه ومنهم أبو الزناد[٧]، وغيره فقال لأبو الزناد: ((يا ابن ذكوان أرأيت يوم دخلت على الخليفة وأنت عنده والزهري يقدح فيّ أتحفظ شيئاً من كلامه، فقلت: يا أمير المؤمنين اذكر يوم دخلت وانا اعرف الغضب في وجهك، قال: نقل إليَّ الخادم الذي على رأس هشام ما دار

(١) الأصفهاني، الأغاني، ٧/ ٧.
(٢) الأصفهاني، الأغاني، ٧/ ٧.
(٣) المصدر نفسه، ٧/ ٨-٩.
(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ١٠/ ٤.
(٥) المصدر نفسه، ١٠/ ٤.
(٦) المصدر نفسه، ١٠/ ٤.
(٧) هو عبد الله بن ذكوان مولى رمله بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس كانت كنيته أبا عبد الرحمن وغلب عليه الزناد، من الفقهاء (الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف: طبقات الفقهاء، تحقيق: خليل الميسر، دار القلم، (بيروت : د- ت)؛ ص٥٠. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥/ ٤٤٥).

في مجلسكم وانا على الباب قبل دخولي عليكم، واخبرني انك لم تنطق بشيء، فقال: نعم لم انطق فيه بشيء، فقال الوليد: أقسمت حينها أن اقتله إن أمكنني الله من ذلك))[١].

من خلال ذلك نرى أن جلساء الخليفة مستشاريه كان لهم تأثير في آراء وتوجهات الخليفة ليس على مستوى المشورة والدعوة إلى التغيير فقط بل والتشهير بولاة العهد لخلافات قد تكون شخصية.

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١/ ١٨٣- ١٨٤.

المطلب الخامس

محاولة تغيير ولي العهد نهاية الدولة الاموية (١٢٥- ١٣٢هـ)

كانت حملة التشهير قد تركت آثارها على الوليد بن يزيد عند توليه الخلافة (١٢٥هـ)[١]، فبادر إلى مبايعة ولديه الحكم وعثمان بولاية العهد، بعد توليه الخلافة بفترة قصيرة، وقد رفض ذلك سعيد بن صهيب الذي نهاه عن البيعة لأبنائه والرفض كان أيضا نصيب هذه البيعة من قبل خالد بن عبد الله القسري، بعد أن عرضها عليه الخليفة الوليد بن يزيد، في النهاية قتل الوليد، وأصبح الخليفة يزيد ابن الوليد بن عبد الملك، والذي جاء إلى الخلافة بعد إن ساعدته بعض من القبائل وبعض الطوائف الدينية، فضلاً عن الأمويين الناقمين على الوليد.

جاء يزيد ولم يعمر طويلاً إذ مات وجاء خلفاً له أخاه إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، وقيل أن الأمر لم يتم له طويلاً حتى إن بعض الناس كانت تسلم عليه بالخلافة وآخرون يسلمون علية بالأمارة، وآخرون لا يسلمون عليه بشيء[٢].

واختلف الناس في مناداته فمنهم من جعله خليفة ومنهم من جعله دون ذلك، وبقي في الخلافة حتى خلع نفسه وسلم الأمر إلى مروان بن محمد[٣].

---

(١) الصلابي: الدولة الأموية، ٢/ ٤٩٠.

(٢) الطبري: تاريخ، ٨/ ٣١٢؛ القلقشندي: احمد بن عبد الله: مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، ط٢، مطبعة حكومة الكويت، (الكويت : ١٩٨٥م)، ١/ ١٦١.

(٣) القلقشندي: مآثر الأناقة، ١/ ١٦١.

رويَ أن إبراهيم بن الوليد مكث في الخلافة سبعين يوماً فخلعهُ مروان بن محمد بعد أن خرج عليه، فهرب إبراهيم الا أن هروبه لم يدم طويلاً، إذ جاء إلى دمشق وخلع نفسه وسلم الأمر إلى مروان بن محمد طائعاً(١).

اختلف فيما آلـ إليه حال إبراهيم بن الوليد بعد خلع نفسه فمنهم من ذكر انه عاش حتى سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وقتل مع من قتل من بني أمية في وقعة السفاح(٢).

(١) ابن حبان، محمد بن أحمد بن حبان: الثقاة، تحقيق: السيد شرف الدين احمد، ط١، دار الفكر، (بيروت: ١٩٧٥م)، ٢/ ٣٢٢؛ المقدسي، المطهر بن طاهر: البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، (بور سعيد : د-ت)، ٦/ ٤١؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، مطبعة السعادة، (القاهرة : ١٩٥٢م)، ص٢٥٤ .

(٢) القلقشندي، مآثر الأناقة، ١/ ١٦١؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٥٤.

الخاتمـــة:

إن التطور الذي شهدته النظرية السياسية الإسلامية في العصر الأموي تمثل في ظهور مبدأ توريث الخلافة، بدءاً من خلافة معاوية بن أبي سفيان (ﷺ) الذي ورّث الخلافة لولده يزيد بن معاوية، ورغم المبررات التي أشيعت حول هذا النظام كي تجعله مقبولاً بيد انه لم يكن خالٍ من السلبيات والمشاكل وأبرزها ظهور محاولات تغيير ولي العهد والتي كان لها نتائجها السلبية على مستقبل الخلافة الأموية، خاصة بعد مجيء خلفاء ضعاف إلى حكمها.

كانت اولى محاولات تغيير ولي العهد في خلافة عبد الملك بن مروان إذ رام خلع أخيه عبد العزيز بيد إن الأمر ظل بمجمله مجرد محاولة كان دافعها الأول والرغبة بحكم الأبناء وحصر الخلافة فيهم وثانياً، ما كان يسعى إليه جلساء الملك وشعرائه ومشيريه من تأجيج الموقف والتأثير في الخليفة وتوجيهه نحو اعتماد سياسة تغيير ولي العهد للتقرب من السلطان أو كونهم أعداء لولاة العهد.

أضحى تغيير ولي العهد رغبة سار عليها معظم الخلفاء الأمويون بالتتابع مع وجود بعض الاستثناءات، فهذا الخليفة الوليد جدد نهج والده في المسألة ذاتها ورام تغيير أخيه سليمان وبذل في ذلك كل نفيس، بل وتخاصم الاثنان وجلساءهم، وكاد كل طرف للأخر وتنافر الأخوة فيما بينهم، كلٌ كان يسعى لجعلها في أبناءه.

لم يتحقق للوليد ما تحقق لوالده، إذا لم يمت سليمان بل مات الخليفة، وذهب جهده وخصامه مع إخوته سُدى، الأكثر من ذلك إن نتائج هذه المحاولات أثرت سلباً على مستقبل الدولة، لا سيما في الأقاليم الشرقية، إذ أيد قتيبة بن مسلم الباهلي (أعظم قادة الفتوح في الأقاليم الشرقية في العصر الأموي) هذا التغيير الذي لم يتم،

وجاء إلى الخلافة سليمان بن عبد الملك فانقلبت المواقف، وكانت النتائج خسارة المسلمين لقائد عظيم.

وجاء الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩- ١٠١هـ) بوصية سليمان بن عبد الملك الذي عدّ عهده انقلاباً في هذا النظام، إذ جاء إلى الخلافة دون توريث، ولم يعمد إلى تغيير ولي عهده يزيد بن عبد الملك، بل كان قبل ذلك دائماً ما ينصح الوليد بعدم تغيير سليمان.

جاءت مناظرات الخليفة عمر بن عبد العزيز مع الخوارج ومناقشته في مدى أحقية بني أمية في الخلافة لتزرع الخوف في نفوس بني أمية من إن يفقدوا الخلافة والمال، فدفعهم ذلك الخوف إلى التخلص منه فدس له السم، وكان قد أوصى قبل موته ولي عهده يزيد بن عبد الملك بالرعية وتقوى الله.

يتجدد الصراع مرة أخرى في خلافة هشام بن عبد الملك عندما عزم على تغيير ولي عهده الوليد بن يزيد وشيع لهذا الأمر ففر يزيد من دمشق، ولم يعُد إليها الا بعد وفاة هشام.

اخذ الضعف يدب بالخلافة الأموية بعد ذلك إذ تولى الخلافة رجال ضعاف كانت هيبتهم قد تلاشت والمؤامرات فيما بينهم كانت كبيرة، كل منهم كان يسعى للوصول إلى العرش.

الخليفة الوحيد الذي خلع نفسه فعلياً من الخلفاء الأمويين هو إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك الذي بايع مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية.

لقد تبيّن من خلال البحث نتيجة جليّة ألا وهي عدم ثبوت تغيير ولي للعهد في العصر الاموي وكانت جميع الاجراءات التي اتخذها الخلفاء الامويون في هذا الأمر لم تتعدى كونها مجرد محاولة.

وآخر دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمين. . .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً – المصادر الاولية:-

* ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت٦٣٠هـ):

١-الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفدا عبد الله القاضي، ط٢، دار الكتب العلمية (بيروت : ١٩٩٥م).

* ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (٥٩٧هـ).

٢-المنتظم في أخبار الملوك والأمم، ط١، دار صادر، بيروت – د- ت .

٣-صفة الصفوة، تحقيق: محمد فاخوري ومحمد راوس قلعة جي، دار المعرفة (بيروت: ١٩٧٩م).

٤-سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، دار صادر، (بيروت: د. ت)

* ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن احمد التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ):

٥-الثقاة، تحقيق: السيد شرف الدين احمد، دار إحياء التراث العربي، (بيروت: ١٣٩٢ هـ).

٦-مشاهير علماء الأمصار، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٩٥م) .

* الحنبلي، عبد الحي بن احمد بن محمد (ت١٠٨٩هـ):

٧-شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الارنؤوط، ط١، دار ابن كثير، (دمشق: ١٤٠٦٠هـ).

* ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت٨٠٨هـ):

٨-مقدمة ابن خلدون، ط١، بيروت، (دار القلم : ١٩٧٨م) .

* ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ):

٩-وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، تحقيق: د/ إحسان عباس، دار الثقافة، (بيروت : ١٩٦٨م).

* الذهبي، أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ):

١٠- سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط٩، مؤسسة الرسالة، (بيروت : ١٤١٣هـ) .

* الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٧٢١هـ):

١١- مختار الصحاح، تحقيق: محمد خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، (بيروت: ١٩٩٥م).

* ابن سعد، محمد البصري التميمي (ت ٢٣٠هـ):

١٢- الطبقات الكبرى القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن تبعهم، تحقيق: زياد محمد منصور، ط٢، مكتبة العلوم والحكم، (المدينة المنورة :١٤٠٨هـ).

* السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)

١٣- تاريخ الخلفاء، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، مطبعة السعادة، (القاهرة : ١٩٥٢م).

* الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف (ت ٤٧٦هـ):

١٤- طبقات الفقهاء، تحقيق خليل الميسر، دار القلم، (بيروت : د – ت).

* الأصفهاني، أبو الفرج علي (ت٣٥٦هـ):

١٥- الأغاني، تحقيق سمير جابر، ط٢، دار الفكر، (بيروت : د- ت).

* الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠ هـ):

١٦- تاريخ الرسل والملوك، تقديم ومراجعة: صدقي جميل العطار، ط١، دار الفكر، (بيروت : ١٩٩٨م).

* القلقشندي: احمد بن عبد الله (ت٨٢١هـ):

١٧- مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، ط٢، مطبعة حكومة الكويت، (الكويت : ١٩٨٥م).

* القيسراني: محمد بن طاهر (ت٥٠٧هـ):

١٨- تذكرة الحفاظ، تحقيق: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، دار الصميعي، (الرياض: ١٤١٥هـ).

* ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ):

١٩- البداية والنهاية، مكتبة المعارف، (بيروت : د- ت).

* المقدسي، المطهر بن طاهر (ت بعد ٣٥٥):

٢٠- البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، (بور سعيد : د- ت).

* اليعقوبي، احمد بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٩٢هـ):

٢١- تاريخ اليعقوبي، دار صادر،(بيروت : د - ت).

ثانياً - المراجع الثانوية:-

* سالم، السيد عبد العزيز:

١-تاريخ الدولة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، (الإسكندرية: د - ت).

* الصالحي، زاهدة سعيد، والعبود، نافع توفيق:

٢-تاريخ الدولة العربية الإسلامية (العصر الأموي)، مطبعة التعليم العالي، (الموصل: ١٩٨٩م).

* صفوت، أحمد زكي:

٣-جمهرة خطب العرب، المكتبة العلمية، (بيروت: د - ت).

* الصلابي، علي محمد:

٤-الدولة الأموية، عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ط١، دار المعرفة، (بيروت: ٢٠٠٥م).